رسالة الشاعر ...

الى المعلم

الشاعر الكبير الاستاذ محمد مصطفى الأحمر
مدير قسم الدراسة بوزارة الأوقاف

يخيل إلى أن رسالتى إلى «المعلم» ستكون حبيبة إلى نفسه، قريبة من حسه، مسترسلة فى طواياه، بعيدة الأثر فيما يتصل بصحيحه من أسباب: ذلك أنها رسالة روحية تأتلف إليها ضروب مترفة من التوجيهات الحافلة بالنفع. ولست أرضى للمعلم — وهو يقوم على إنشاء الدعامة القوية للشعب — أن تفوته هذه الرسالة، ولا أن ينصرف عنها، فهى حقيقة أن تملأ فراغه حين يهتف بالحياة من جانبها اللامع المضىء، وإنى لأتمنى لمختلف الطوية أن يتفهم المعلم فى كثير من اليقين، أن أولئك الذين هيأت لهم المقادير عملا آخر غير التعليم، إنما أتيح لهم غير قليل من أسباب الصلة بالمعلم والتعليم، هم يستشعرون هذه الصفة فى بيوتهم حين يلتمسون أبناءهم صادرين عنها إلى مدارسهم، أو عائدين إليها من تلك المدارس، وهم يستشعرون هذه الصلة حين يتاح لهم أن يرشدوا أبناءهم إلى الاستذكار. وما يدخل فى باحته من إيحاء يدفعهم إلى الاقبال على دروسهم فى شغف وحب، وإشراق وجه، ورحابة صدر..

ونحن إذن — من هذه الناحية على الأقل — نستطيع القول بأن لنا بعض خصائص «المعلم» وإن لم تهيء لنا طبيعة حياتنا أسبابا من عمله، فنى أكناف ذلك - أعتقد أنى لن أكون غريبا عن «المعلم» حين أزجى إليه رسالتى التى أدين بها وأطمئن إليها.

وإنه ليلوح لى أن رسالتى لن تعدو كلمات هى على إطلاقها بسيطة كبساطة الطبيعة ولكنها فى تأثيرها قوية كقوة الحياة..

أحب للمعلم أن يقبل على الشعر، نعم وأكره له ألا يقبل على الشعر، فأن الشعر رسالة من رسالات الروح، وما أحرى المعلم أن يتأثر روحانية هذه الرسالة فى حياته مع نفسه، وفى حياته مع تلاميذه، حتى يكون إنسانا له خصائص الأنسانية، وله ميزاتها الجديرة بالاعجاب.

ولست أرى كالشعر متاعا يرضى عنه الوجدان وتطمئن إليه القلوب . وتصعد إلى خلجاته النفسية متى أرهقتها الحياة . أو شغلتها بهذه الدواغل المادية التي لا حصر لها .

إنه يلهم الانسان معرفة الجمال المثالي ، ومعرفة الجمال النفسي . ومعرفة الدنيا من جانب هادىء وديع قليل الصلة بما يقوم عليها من صخب الآراء المعقدة . وضجيج النظرات الملتوية وإنه ليوحي إلى النفس — إلى جانب ذلك — فيضاً من رقة الشعور ، ودقة الأحاسيس وإن لها في هذا الفيض ما يغنيها عن التزام موقف الضيق حين تلبس الحياة أبناءها ثوباً من أثوابها السوداء ، أو حين تطل الحياة على واحد من بنيها لا من نوافذ الفردوس ، وإنما تطل عليه من نوافذ الجحيم . .

إن ترديد الشعر ، هو ضرب من ترديد الأغنيات ، ولعل « المعلم » كأي فرد من هذا الجيش العالمي الزاخر ، يعلم ما لترديد الأغاني من أثر في قهر التفكير المظلم ، وفي انبعاث نشوة من الفرح الشامل ، تستقر النفس على صفحته فلا يحتويها حزن ثقيل أو خفيف ، وإذا كانت هذه ميزة من ميزات الشعر ، فهي ليست كل ميزاته بلا ريب ، ذلك أن له أثراً في تعويد الانسان حياة التأمل ، لأن الشاعر حين يطلق شعره إلى باحة الضوء ، إنما يلفه في أغلفة من تأملاته ومن تجاربه ومن نفسه ، ومن هذه الأغلفة التي تشغل ألباب الأحياء جميعاً ، ثم هو يدفع هذه الأفواج كلها في قصيدة — طويلة كانت أو قصيرة — ولكنها مع ذلك مزدحمة بضروب من الحكمة والوصف والعواطف والنوازع والخلجات ، فما يكسبه قارىء الشعر إذن لا يقاس إلى جانبه ما يكسبه من النثر حين يقبل عليه أعواماً وأعواماً .

إن موسيقى الشعر تهدي قارئه إلى حفظه ، وإلى التماس معانيه ، ثم هي تجر على نسيانه ثوب النسيان ، أعني أن الشعر إذا ما استقر في وعي قارئه فلما يفلت من ملكة الحافظة أو يعدوها ، والشعر — من أجل ذلك — يسعف الانسان بالحجة الحاسمة والرأي الأخير .

فأنا أحب للمعلم إذن أن يقبل على الشعر التماساً للتثقيف روحه تثقيفاً يقدم إليها أقرب الصور إلى الطبيعة والحياة ، وأنا أحب للمعلم أن يكابد الشعر إن تهيأت له سليقة نفاحة مطواعة ، فأن رسالة الشعراء هي رسالة الخلود ، ولكني لا أحب له أن يلتمس متاعه من الشعر في هذه النفاهات التي يصرف إلى إحيائها شعراء لا كالشعراء . . . وإنما أحب له أن يلتمس متاعه في شعر أصيل يتحدث له عن الحياة الاجتماعية حديثاً فيه غناء وجدوى .

إن دراسة المحفوظات الشعرية في المدارس حجة ناهضة بسداد ما ذهبت إليه من توجيه المعلم وجهة السعي وراء الشعر حفظاً ، كان أم قرضاً ، وإن هذه القصائد التي تذيعها صحيفة التعليم الأزهري » لجماعة من المعلمين الشعراء لدليل قوي الدلالة على أني حين أهبت بالمعلم أن يقبل على الشعر إنما نفذت إلى موطن من نفسه ، هو أقرب المواطن إلى ميوله وعواطفه .

محمد مصطفى الماحي